نواب الوفد حائزون لثقة الشعب

لا أقول هذا دعاية لهم فما هم بحاجة لأية دعاية. والشعب والحمد لله بخير نضج وعيه فعرف من زمن بعيد وقريب الحريصين على حقوقه الجريئين فى الدفاع عن أهدافه. عرفهم حق المعرفة كما عرف خصومه المعوقين لجهاده الساعين لخدمة المستعمر بوسيلةٍ أو بأخرى مهما اصطنعوا لها من مظاهر الغيرة والتحمس.

عرف الشعب أنَّ هيئة أخرى غير الوفد المصرى ما كانت تجرؤ على إلغاء المعاهدة والوقوف من الإنجليز الموقف الذى وقفه الوفد غير مترددٍ ولا هيابٍ.

عرف الشعب أنَّ خصوم الوفد لما لم يستطيعوا أن يعارضوا فى إلغاء المعاهدة جهرة جعلوا يتعللون بالعللِ يخلقونها للتعويق فظلوا يرددون - ولا يزالون - أنشودتهم السمجة، وهى أنَّ الوفد لم يعد العدة قبل إلغاء المعاهدة لجعل الإلغاء حقيقة واقعة. وزعموا فيما زعموا أنَّ الوفد أشاع أنَّه وضع لكل حالة خطتها وهذا زيف روَّجوه وإفك أحدثوه، فالوفد لم يفرش الطريق بالورود والرياحين، بل إنه نبه وبصر. نبه الأمة إلى أنَّ الطريق محفوفة بالمخاطر وأنَّ على الأمة أن تعد نفسها للبذل والتضحية. وما كان الوفد يستطيع أن يقول غير ذلك.

ولعلَّ خصوم الوفد كانوا فى موقفهم أشبه بقوم موسى عليه السلام لما قال لهم نبيهم كما ذكر القرآن «وإذ قال لهم موسى إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا وبك يبين لنا ما هى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا

ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى أن البقر تشابه علينا وأنا إن شاء الله لمهتدون» البقرة: 67 – 70 صدق الله العظيم.

وخصوم الوفد أشبه بهؤلاء القوم فهم لما كانوا فى الحكم وعادوا من مجلس الأمن بالفشل قالت لهم المعارضة الوفدية إنه يمكنهم أن يلغوا المعاهدة بجرة قلم أى بإجراء من جانبٍ واحدٍ فأخذتهم العزة بالإثم. فلما ولى الوفد الحكم طالبوه بذلك الذى لم يفعلوه وهزأوا بالمحادثات وزعموا أنَّها طالت واستطالت فلما ألغى الوفد المعاهدة قالوا وأين الخطط الموضوعة لجعل الجلاء حقيقة. وتجاهلوا تجاهل العارفين.

خطت حكومة الشعب خطوتها الجبارة وآمن الناس بأنها حكومة إقدام وحزم وبدأت المعركة الأولى فى عدم التعاون وانتصر الوفد فيها فانسحب العمال من المعسكرات وتلقتهم وزارة الوفد بالأذرع وفتحت لهم أبواب الخزانة العامة. فلما ضاق الإنجليز بدأوا باحتلال المرافق العامة وإغلاق طرق المواصلات إلى غير ذلك من وسائل الانتقام، فبدأ خصوم الوفد يولولون ويتباكون وينددون بالحكومة ولا يتوجهون بكلمة لوم واحدة إلى الإنجليز يحاولون بذلك أن يثيروا الشعب على الوفد ويتساءلون عن «الخطة الموضوعة».

ولم يكن ميسورًا لأمةٍ لا سلاح لها ولا كان فى مقدورها أن تعمل غير ما عملته مصر. ولكنها وسيلة من وسائل ألفت فى العزائم وهدم الكيان والدعوة إلى اليأس، وإلا لو أنه كانت عند القوم «خطة موضوعة» لوجب أن يجهروا بها ويعلنوها لتنتهجها الحكومة أو يسقطوها ليحلوا محلها ويقوموا هم بتنفيذ خطتهم وكان الشعب عندئذ يؤيدهم ويسير وراءهم، فهو ما كان يتردد فى أن يظاهر الذين يستطيعون أن يجعلوا إلغاء المعاهدة حقيقة واقعة فى أقرب حين.

لكن الشعب كان ولا يزال موقنًا بأنَّ القوم يهزلون فلم يستمع إليهم ولن يستمع فى المعركة الانتخابية إلى مثل هذا الهزل.

هذا هو الوضع فى الشأن الخارجى المهم شأن الأهداف القومية. إنَّ سياسة الوفد كانت واضحة وكانت هى السياسة التى ارتضاها الشعب وأيدها وهو لذلك ظلَّ إلى اللحظة الأخيرة واثقًا بنوابه ولا يزال يفخر بهذه الثقة.

على هذا ستدور المعركة القادمة. وسترى الأحزاب المخاصمة للوفد أنها عبثًا تحاول صرف الناخبين عن تأييد نواب الوفد السابقين الذين يذكر الشعب لهم مواقفهم الوطنية التى لا ينكرها إلا كل حقود. ولن يجد الشعب ما يبرر لديه العدول عن ذلك التأييد الغالى الذى أضفاه على نواب الوفد، فهم قد أصبحوا عنوان الجهاد وعنوان الكفاح. ولن يخذل الشعب رجالًا حقد عليهم الإنجليز أشد ما يكون الحقد. والشعب يدرك تمامًا أنَّ خذلان نوابه السابقين معناه تأييد الإنجليز ولا شىء غير ذلك.

فلييأس خصوم الوفد من اليوم وليعلموا أنَّ الأحاديث المعادة التى يرددونها منذ أقيلت وزارة الوفد فى أواخر سنة 1937 إلى الآن. أى منذ خمسة عشر عامًا عن الرشوة واستغلال النفوذ وغيرهما إنما هى أحاديث لا يلتفت الشعب إليها إلا عند ثبوت عليه شىء منها قضاء. ومن ثبت عليه شىء فعليه وزره والوفد مقصيه حتمًا عن حظيرته مهما علا مركزه سواء أكان وزيرًا أو شيخًا أو نائبًا.

يفهم الشعب ذلك ويدركه فى إلهامٍ عجيبٍ من صنع الله الذى أحسن كل شىء صنعًا.

وإنَّ غدًا لناظره قريب.